الباب الثاني والعشرون

في عدد الجنات وأنها نوعان : جنتان من ذهب، وجنتان من فضة

الجنة : اسم شامل لجميع ما حوته من البساتين والمساكن والقصور وهي جنات كثيرة جداً ، كما روى البخاري في « صحيحه » عن أنس بن مالك : أن أم الربيع بنت البراء: وهي أم حارثة بن سراقة أتت رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسولَ الله ألا تحدِّثني عنْ حارثةَ ؟ وكان قُتلَ يومَ بدرٍ أصابَه سهمٌ غَرْبٌ . فإنْ كانَ في الجنةِ صبرتُ، وإنْ كان غيرَ ذَلكَ اجتهدتُ عليهِ في البكاءِ ، قال : «يا أمَّ حارثةَ، إنها جنان في الجنةِ، وإن ابنَكِ أصابَ الفردوسَ الأعلى »[1] .

وفي « الصحيحين » من حديث أبي موسى الأشعري، عن رسول الله ﷺ قال : « جنّتانِ من ذهبٍ آنيتُهما، وحليتُهُما وما فيهما، وجنتانِ من فضةٍ آنيتُهما وحليتُهما وما فيهما، وما بينَ القومِ وبينَ أن ينظرُوا إلى ربِّهِمْ إلا رداءُ الكبرياءِ على وجهِهِ في جنَّةِ عَدْنٍ »[2] . وقد قال تعالى : ﴿ **ولِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّه**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٠٩) في الجهاد : باب (١٤) من أتاه سهم غرب فقتله .
سَهمٌ غَرْبٌ : أي لا يعرف راميه، ولا من أين أتى، أو جاء على غير قصد .

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٧٨) (٤٨٨٠) في التفسير : باب (١) و(٢) ﴿ **ومِنْ دُونهما جنّتان** ﴾ ، و﴿ **حور مقصورات في الخيام** ﴾ ، ومسلم (١٨٠) في الإيمان : باب (٨٠) إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى .
ولفظه عندهما : « جنتان من فضة. آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب. آنيتهما وما فيهما . . . »
قال الإمام النووي : قال العلماء : كان النبي ﷺ يخاطب العرب بما يفهمونه، ويقرب الكلام إلى أفهامهم ، ويستعمل الاستعارة وغيرها من أنواع المجاز ليقرب متناولها، فعبر ﷺ عن زوال المانع، ورفعه عن الأبصار بإزالة الرداء .

جنتانِ ﴾ [الرحمن : ٤٦] فذكرهما ثم قال : ﴿ ومِنْ دُونِهما جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن : ٦٢] فهذه أربع، وقد اختلف في قوله : ﴿ ومنْ دونِهما ﴾ هل المراد به أنهما فوقهما ، أو تحتهما على قولين :

فقالت طائفة : من دونهما أي، أقرب منهما إلى العرش، فيكونان فوقهما .

وقالت طائفة : بل معنى من دونهما : تحتهما . قالوا : وهذا المنقول في لغة العرب، إذا قالوا : هذا دون هذا، أي دونه في المنزلة. كما قال بعضهم لمن بالغ في مدحه : أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك : وفي « الصحاح » دون : نقيض فوق، وهو تقصير عن الغاية ، ثم قال : ويقال : هذا دون هذا أي أقرب منه، والسياق يدل على تفضيل الجنتين الأولين من عشرة أوجه :

أحدهما : قوله : ﴿ ذَواتَا أفنانٍ ﴾ [الرحمن : ٤٨] وفيه قولان : أحدهما : أنه جمع فَنَن ، وهو الغصن . والثاني : أنه جمع فَنٍّ ، وهو الصنف : أي ذواتا أصناف شتّى من الفواكه وغيرها ، ولم يذكر ذلك في اللتين بعدهما .

الثاني : قوله : ﴿ فيهما عَينانِ تَجريانِ ﴾ [الرحمن : ٥٠] وفي الأخريين : ﴿ فيهما عينانِ نَضَّاختانِ ﴾ [الرحمن : ٦٦] والنضّاخة : هي الفوّارة ، والجارية: السارحة، وهي أحسن من الفوارة، فإنها تضمن الفوران والجريان .

الثالث : أنه قال : ﴿ فيهما منْ كلِّ فاكهةٍ زوجانِ ﴾ [الرحمن : ٥٢] ، وفي الأخريين : ﴿ فيهما فاكهةٌ ونخلٌ ورُمانٌ ﴾ [الرحمن : ٦٨] ، ولا ريب أن وصف الأولين أكمل، واختلف في هذين الزوجين بعد الاتفاق على أنهما صنفان . فقالت طائفة : الزوجان : الرطب واليابس الذي لا يقصر في فضله وجودته عن الرطب، وهو متمتع به كما يتمتع باليابس، وفيه نظر لا يخفى . وقالت طائفة : الزوجان صنف معروف، وصنف من شكله غريب . وقالت طائفة : نوعان ولم تزد. والظاهر والله أعلم : أنه الحلو والحامض، والأبيض

والأحمر، وذلك لأن اختلاف أصناف الفاكهة أعجب وأشهى ، وألذّ للعين والفم .

الرابع : أنه قال : ﴿ مُتكئينَ على فُرُشٍ بطائِنُها من إسْتبرقٍ ﴾[1] [الرحمن : ٥٤] ، وهذا تنبيه عن فضل الظهائر وخطرها، وفي الأخريين قال : ﴿ مُتكئينَ على رفْرفٍ خُضْرٍ وعَبقَرِيٍّ حِسانٍ﴾[2] [الرحمن : ٧٦] وفسر الرفرف : بالمحابس[3] والبسط، وفسر : بالفرش، وفسر : بالمحابس فوقها . وعلى كل قول فلم يصفه بما وصف به فرش الجنتين الأوليين .

الخامس : أنه قال : ﴿ وجَنَى الجنتَيْنِ دَانٍ ﴾ [الرحمن : ٥٤] أي قريب سهل يتناولونه كيف شاؤوا، ولم يذكر ذلك في الأخريين .

السادس : أنه قال : ﴿ فيهنَّ قاصراتُ الطَّرفِ ﴾[4] [الرحمن : ٥٦] أي قد قصرنَ طرفهن على أزواجهن، فلا يردن غيرهم لرضاهن بهم، ومحبتهن لهم، وذلك يتضمن قصرهنَّ لطرف أزواجهنَّ عليهن، فلا يدعهم حسنهن أن ينظروا إلى غيرهن،وقال في الأخريين : ﴿ حُورٌ مقصوراتٌ في الخيامِ ﴾[5] [الرحمن : ٧٢] ، ومن قصرت طرفها على زوجها باختيارها أكمل ممن قصرت بغيرها .

السابع : أنه وصفهن بشبه الياقوت والمرجان في صفاء اللون ، وإشراقه وحسنه ، ولم يذكر ذلك في التي بعدها .

الثامن : أنه سبحانه قال في الجنتين الأوليين : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الإحسانِ

---

(١) الإستبرق : الحرير الغليظ السميك .

(٢) الرفرف: جمع رفرفة ، أي بسط ووسائد. والعبقري : البسط الحسنة ، قال في القاموس : العبقري : الكامل من كل شيء ، والسيد والذي ليس فوقه شيء ، وضرب من البسط .

(٣) كذا في «القاموس» واحدها محبس كمنبر: ثوب يحبس به الفراش.

(٤) الطرف : العين .

(٥) حور : شديدات سواد العيون وبياضها ، جمع حوراء ، وهذا وصف لعيونهن بالجمال، مقصورات : مستورات. الخيام : جمع خيمة . وهي البيت يتخذ من النسيج ، وهي في الآخرة دُرٌّ مجوف .

﴿ إلا الإحسانُ ﴾ [الرحمن : ٦٠] وهذا يقتضي أن أصحابهما من أهل الإحسان المطلق الكامل، فكان جزاؤهم بإحسان كامل .

التاسع : أنه بدأ بوصف الجنتين الأوليين ، وجعلهما جزاءً لمن خاف مقامه، وهذا يدل على أنهما أعلى جزاء الخائف لمقامه، فرتب الجزاء المذكور على الخوف ترتيب المسبب على سببه، ولما كان الخائفون نوعين : مقربين وأصحاب يمين، ذكر جنتي المقربين، ثم ذكر جنتي أصحاب اليمين .

العاشر : أنه قال : ﴿ ومنْ دُونهِمَا جنتانِ ﴾ [الرحمن : ٦٢] والسياق يدل على أنه نقيض فوق . كما قال الجوهري، فإن قيل : فكيف انقسمت هذه الجنان الأربع على من خاف مقام ربه ؟ قيل : لما كان الخائفون نوعين كما ذكرنا، كان للمقربين منهم الجنتان العاليتان، ولأصحاب اليمين الجنتان اللتان دونهما، فإن قيل : فهل الجنتان لمجموع الخائفين يشتركون فيهما، أم لكل واحد جنتان وهما البستانان ؟ قيل : هذا فيه قولان للمفسرين . ورجح القول الثاني بوجهين : أحدهما : من جهة النقل. والثاني : من جهة المعنى، فأما الذي من جهة النقل فإن أصحاب هذا القول رووا عن رسول الله ﷺ أنه قال : «هما بستانان في رياض الجنة » وأما الذي من جهة المعنى فإن إحدى الجنتين جزاء أداء الأوامر، والثانية : جزاء اجتناب المحارم .

فإن قيل : فكيف قال في ذكر النساء ﴿ فيهن ﴾ في الموضعين، ولما ذكر غيرهن قال ﴿ فيهما ﴾ ؟

قيل : لما ذكر الفرش قال بعدها : ﴿ فيهنَّ خيراتٌ حِسَانٌ ﴾ [الرحمن : ٧٠] ثم أعاده في الجنتين الأخريين بهذا اللفظ، ليتشاكل اللفظ والمعنى. والله أعلم .